كيف ندفع النقم؟

تأليف

د . محمد بن عبدالله الهبدان

المشرف العام على مؤسسة نور الإسلام

مؤسسة نور الإسلام

www.islamlight.net

تنبيه : الرسالة من مطبوعات دار المحدث

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله مزيل الكربات ..وفارج الملمات ..ومنفس الشدائد و المصيبات ..وقاضي الحاجات ..والصلاة والسلام على هادي البرية ..وأزكى البشرية ..والذي حذرها من أسباب العقوبات ..وبين لها موجبات السلامة و الرحمات ..أما بعد :

فإن الناظر في مجريات الأحداث ..والمطلع على وقائع الأمور ..والمتابع لما يدور في الساحة اليوم ..يجد أن الأمر جلل ..والخطب جسيم ..وقد يؤدي إلى واقع أليم ..فالعدو قد كشر عن أنيابه ..وأظهر ما كان يخفيه من أحقاده ..فقد تناقلت وسائل الإعلام ..ما تسرب من النوايا الحقيقية الخفية لحامية الصليب..من أن هدفها الرئيس القضاء على الإسلام الصافي المتمثل فيما يسمونه بالوهابية ..وإعادة رسم خارطة المنطقة من جديد ..وقد صرح عدد من المسؤولين الأمريكيين بشيء من ذلك ..فلم يعد الأمر سرا ..ولا غامضا يستنبط ..وقد يتساءل المرء في ظل الظروف الصعبة ..والمواقف الحرجة ..ماذا يفعل ؟ وماذا يصنع ؟ وهل بمقدوره أن يدفع البلاء..أم أن الأمر لا يعنيه لا من قريب ولا من بعيد ..أو يكون دوره هو التفرج على مسرح الأحداث ..دون أن يكون للإنسان أي أثر فاعل ..أو أن يحيل الأمر إلى غيره ..وينسب التقصير إلى من حوله ..ويقول ..الناس فعلوا ..والناس تركوا ..ويسل نفسه من الأمر كما تُسل الشعرة من العجين .

كل هذه التساؤلات وغيرها يجيبنا عنها ..من تأمل نصوص القرآن والسنة ..فإنها تذكر الدور المطلوب ..والعمل المرغوب ..الذي يجب فعله على كل مسلم ومسلمة ..في ظل الأزمات ..وتلاطم الفتن والملمات .. وهذا ما سنحاول تلمس جانب منه في هذه الرسالة المختصرة .

قبل البداية :

لابد أن تعلم يا رعاك الله ..أن كل واحد منا قادر على أن يعمل شيئا ..وأن يقدم لأمته عملا ..ولن أذكر لك ..ما لا تستطيع فعله ..أو تعجز عن عمله ..بل ما سأذكره من خطوات ..وما سأضعه بين يديك من وسائل ..هي بمقدور الجميع

..وكل واحد معني بها ..الصغير والكبير ..الأمير والوزير ..الغني والفقير ..والذكر والأنثى ..ولا تتصور أن المخاطب بها غيرك ..بل إني أعنك أنت بالذات ..فلا تلتفت إلى غيرك ..ولا تشر بأصبعك إلى من سواك ..فأنا أقصد نفسي أولاً ..ثم أقصدك ثانياً ..ثم أقصد غيرك ثالثاً ..وهذه الخطوات ..إن لم نبادر إلى فعلها ..ونسارع إلى عملها ..فإني أخشى من عقوبة التهاون والتساهل ..فإنه ما من أمة من الأمم الغابرة ..أوغلت في الذنوب والمعاصي إلا حلت عليها أنواع البلايا ..وسلط الله عليهم صنوفاً من العذاب ..ولم يشفع لهم أنهم كانوا ينتمون إلى الإسلام ..فالتتر عندما دخلوا بغداد ..سنة ستمائة وست وخمسين ..سفكوا الدماء ..واستباحوا عاصمة الخليفة ..وقتلوا منهم كما قال ابن كثير ..ما يقارب المليونين ..نسأل الله العفو والعافية .

أولى هذه الخطوات :

..تحقيق الإيمان في القلوب ..وترجمته في الواقع العملي

الله تعالى خرق سننه الكونية من أجل عباده المؤمنين الصادقين ..فموسى عليه السلام ..لاحقه فرعون الطاغية ..حتى أدركه ..فقال الناس ..إنا لمدركون ..قال ..كلا ..إن معي ربي سيهدين ..فجاءه النصر ..وأمره الله أن يضرب بعصاه البحر ..فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم ..وهكذا كان ماء البحر قائماً مثل الجبال مكفوفاً بالقدرة العظيمة ..الصادرة من الذي يقول للشيء كن فيكون..ثم جعل الله تعالى أرض البحر .. يابسا لا يعلق في سنابك الخيول والدواب .. { فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا لا تخاف دركا ولا تخشى } ..فلما جاوزه وخرج آخرهم ..كان ذلك عند قدوم أول جيش فرعون إليه وجنوده ..فلما دخلوا ..أطبق الله عليهم البحر ..وأهلك فرعون وجنده ..فأصبحوا من المغرقين ..نعم نصر الله تعالى نبيه ومعه من المؤمنين ..وخرق السنن الكونية من أجل من ؟ من أجل المؤمنين الصادقين ....بل الله تعالى أوقف الشمس من أجل المؤمنين الصادقين .. كما روى الإمام أحمد في مسنده أن النبي ﷺقال : إن الشمس لم تحبس لبشر إلا ليوشع ليالي سار إلى بيت المقدس »[1] فماذا يريد الناس بعد هذا ؟ الشمس توقف من أجلهم ..ومع ذلك نرى تراجع فئام من الناس عن الإيمان بالله حق الإيمان ..ولما أراد سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه فتح المدائن ..حال بينهم وبينها نهر دجلة ..وقد زادت دجلة زيادة عظيمة واسود ماؤها ..ورمت بالزبد من كثرة الماء بها ..فقام سعد رضي الله عنه وخطب الناس ..فحمد الله وأثنى عليه ..وقال : إن عدوكم قد اعتصم منكم بهذا البحر ..فلا تخلصون إليهم معه ..وهم يخلصون إليكم إذا شاؤوا ..وقد رأيت أن تبادروا جهاد العدو بنياتكم ..قبل أن تحصركم الدنيا ..إلا

---

١ ـ رواه أحمد في مسنده(_/__) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه . وإسناده حسن .

إني قد عزمت على قطع هذا البحر إليهم ..فقالوا ..جميعاً ..عزم الله لنا ولك على الرشد ..فافعل ..فرتب الناس ..وجعل هناك فرقاً تتقدم الجيش لحراسته ..فتقدم رجل من المسلمين وقد أحجم الناس عن الخوض في دجلة ..فقال : أتخافون من هذه النطفة ؟ ثم تلا قوله تعالى :{ وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلاً } ثم أقحم فرسه فيها واقتحم الناس ..فلما رآهم الفرس يطفون على وجه الماء قالوا ..ديوانا ..ديوانا ..يقولون ..مجانين ..مجانين ..ثم قالوا : والله ما تقاتلون إنسا بل تقاتلون جنا ..وقد أمر سعد المسلمين عند دخول الماء أن يقولوا : نستعين بالله ونتوكل عليه ..حسبنا الله ونعم الوكيل ..ولا حول ولا قوة إلا بالله ..العلي العظيم ..ثم اقتحم بفرسه دجلة ..واقتحم الناس ..لم يتخلف عنه أحد ..فساروا فيها كأنما يسيرون على وجه الأرض حتى ملأوا ما بين الجانبين ..فلا يرى وجه الماء من الفرسان ..والرجالة ..وجعل الناس يتحدثون على وجه الماء كما يتحدثون على وجه الأرض ..وذلك لما حصل لهم من الطمأنينة والأمن ، والوثوق بأمر الله ووعده ونصره وتأييده[٢] ..ومواقف تأييد الله تعالى لعباده المؤمنين كثيرة ..ولكن أين الذين يؤمنون بالله تعالى حق الإيمان ؟ أين الذين ينقادون لمنهج الرحمن ؟ إن وجدوا فوعد الله بالنصر قريب ..:{ ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا كذلك حقاً علينا ننجي المؤمنين } [يونس:] بل إن الله تعالى تكفل بالدفاع عن المؤمنين فقال سبحانه :{ إن الله يدافع عن الذين آمنوا } فلماذا نتأخر عن الإيمان بالله تعالى حق الإيمان ..والله جل جلاله ..وعدنا إن آمنا به حق الإيمان أن يدافع عنا ..فهل تستطع قوة أن تغلبنا إذا كان القوي القهار يدافع عنا ..وأي قوة في الأرض توازي قوة القهار..فما نسمعه من قوة عدونا ..وأمتلاكه صواريخ عابرة للقارات ..وقنابل نووية ..وأسلحة فتاكة ..كل هذه لا تساوي شيء عند قدرة الله تعالى وقوته.. يقول الله تعالى :{ إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا }..نعم الذين آمنوا ..فأين المفرطون في جنب الله ..أين الغافلون عن الصلاة ..ها هو عدوكم يتربص

[٢] . البداية والنهاية (70/7) أحداث السنة السادسة عشرة من الهجرة .

بكم ..ويستعد لحربكم ..والله وعدكم ..إن آمنتم حق الإيمان أن ينصركم على دولة الكفر والطغيان..فالواجب علينا ..أن نسعى جميعاً لزيادة الإيمان ..لأن الله كتب العاقبة للمتقين.

ثانياً
التوبة والرجوع إلى الله تعالى

قال بعض السلف ..لما فقد قوم يونس نبيهم ..وظنوا أن العذاب قد دنا منهم ..قذف الله في قلوبهم التوبة ..ولبسوا المسوح ..وألهوا بين كل بهيمة وولدها ..ثم عجوا إلى الله أربعين ليلة .. فلما عرف الله الصدق من قلوبهم ..والتوبة والندامة على ما مضى منهم ..كشف الله عنهم العذاب.. يقول الله تعالى { فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين } [يونس] ولذا قال بعض السلف : ما نزل بلاء إلا بذنب وما رفع إلا بتوبة ..فيا عبد الله ..ما حالك ..إذا استباح العدو أرضك ..وهتك عرضك ..وسلب مالك ..والله لبطن الأرض ساعتها خير من ظهرها ..إذن لماذا لا نتوب الآن من ذنوبنا ومعاصينا ..لماذا لاندع أكل الربا ..الذي أعلنا فيه الحرب على ربنا ..لماذا لا نتوب من ترك الصلاة ..لماذا لا نتوب من عقوق الوالدين ..لماذا لا نتوب من قطعية الأرحام ..لماذا لا نكثر من الاستغفار لله تعالى ..ألم تعلم أن الاستغفار سبب عظيم في تحصيل الخيرات ..ودفع المصائب والملمات ..يقول الله تعالى : { وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون} وأنت الآن ألا تشعر أنك في خطر ..ومحتاج إلى كثرة استغفار وعودة صادقة إلى العزيز الغفار ..بل ألم تعلم أن من أسباب القوة ومضاعفتها كثرة الاستغفار كما قال الله تعالى : { ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة إلى قوتكم ولا تتولوا مجرمين } [هود]ونحن بأمس الحاجة إلى القوة في العبادة والطاعة ..وقوة الجسد والبدن .

ثالثا
كثرة الأعمال الصالحة

لما نزل الوحي على رسول الله ﷺ في غار حراء ..وجاءه جبريل بالوحي ..خرج ﷺمن الغار خائفاً فزعا ..يرجف فؤاده .. فدخل على خديجة رضي الله عنها ..وقال لها ..زملوني ..زملوني .. فزملوه حتى ذهب عنه الروع ..فقال لخديجة ..وأخبرها الخبر ..ثم قال ..لقد خشيت على نفسي.. فقالت خديجة : كلا والله لا يخزيك الله أبدا..ــ لماذا يا خديجة لا يخزيه الله ؟ قالت .. إنك لتصل الرحم ..وتقري الضيف ..وتحمل الكل ..وتكسب المعدوم ..وتعين على نوائب الحق .. فأدركت خديجة رضي الله عنها بفطرتها ..أن من اتصف بهذه الصفات ..فإن رب الأرض والسموات ..لا يخزيه أبدا ..وصدقت رضي الله عنها ..فأين الذين يصلون الأرحام ..وأين الذين يقومون بالليل والناس نيام ..لقد أدرك الأعداء هذا السر ..وفهموا مصدر قوتنا .. ففي أعقاب معركة اليرموك ، وقف ملك الروم ، يُساءل فلول جيشه المهزوم ..ويلكم أخبروني عن هؤلاء الذين يقاتلونكم ، أليسوا بشرا مثلكم ؟ قالوا : بلا أيها الملك ، قال : فأنتم أكثر أم هم ؟ قالوا : بل نحن أكثر منهم في كل موطن ، قال : فما بالكم إذاً تنهزمون ؟ فأجابه شيخ من عظمائهم : إنهم يهزموننا لأنهم يقومون الليل ، ويصومون النهار ، ويوفون بالعهد، ويتناصفون بينهم ، وصدق والله وهو كذُوب ، فهذه السجايا العظيمة ، وهذه الخصال الكريمة ، كانت هي أسباب تلك العزة ، والمجد التليد ، كانت هي الأسباب التي صنعت ملحمة الجهاد الكبرى ، ورسمت أقواس النصر الباهرة ، وأقامت حضارة الإسلام العالمية ، ومكنت القوم من رقاب عدوهم ، حتى دانت لهم الأرض وأهلها ، وأتتهم الدنيا وهي راغمة ..لذا ...فانشغال الناس عن هذه السجايا الكريمة ..وانشغالهم عن الصفات الحميدة ..يترتب عليه مفاسد عظيمة ..ومن أجل هذا كان نبي الإسلام ..يوصي الأنام وفي وقت الشدائد ..وإحاطة

الأعداء ..يوصيهم بالعبادة ..فيقول ﷺ :﴿ العبادة في الهرج ـ أي في الفتن ـ كهجرة إلي ﴾ لأن الناس كثيراً ما ينشغلون في وقت الأحداث بمتابعة القنوات الفضائية والإذاعات العالمية ..ويكون هم الواحد منهم ماذا حدث ؟ وماذا جرى ؟ ومتى تبدأ الحرب ؟ وهل بدأت ؟ وينصرف تماماً عن الذكر والصلاة وقراءة القرآن فيتنبه لذلك ..كما أن العبادة ..والأعمال الصالحة لها أثر في طمأنينة القلب ..وسكينة النفس ..ولذلك الرسول ﷺ في وقت الملمات يفزع إلى الصلاة ..حتى تهدأ نفسه ويطمئن قلبه .

رابعًا
الإكثار من الصدقة

لقول النبي ﷺ : ﴿ إن الصدقة لتطفيء غضب الرب وتدفع ميتة السوء ﴾ رواه الترمذي[٣] ..فأين المتصدقون في الأسحار ..أين المنفقون في الليل والنهار ..يقول ﷺ :﴿ صنائع المعروف تقي مصارع السوء ، وصدقة السر تُطفئ غضب الرب ..﴾[٤] [رواه الطبراني : صحيح الجامع □□□□□] .قال ابن أبي الجعد : (إن الصدقة لتدفع سبعين باباً من السوء)..فلا تتردد في البذل والعطاء ..خاصة لإخوانك المستضعفين في فلسطين وأفغانستان .. لأنهم يواجهون دولة الكفر والإلحاد ..ويحاولون صد ظلمها وجبروتها ..فالوقوف معهم من أوجب الواجبات ..وأهم المهمات ..لأنه بدعمنا لهم يكفون عنا وعن الأمة شرورا عظيمة ..فأنفق ينفق الله عليك..ذكر الأديب الكبير علي الطنطاوي رحمه الله في ذكرياته (□/□□□□)..قصة واقعية قائلاً : ذهبت سنة ست وأربعين إلى مصر ، وكان الطريق على فلسطين ، فأقمت فيها عشرة أيام ، وكان لي فيها أصدقاء من الوطنيين العاملين فلمتهم على قعودهم وقيام اليهود ، وعلى تقصيرهم بجمع المال وشراء السلاح ، فقالوا : إن الأيدي منقبضة ، والنفوس شحيحة ، قلت : لا بل أنتم المقصرون ، قالوا : هذا تاجر من أغنى التجار ، فهلم بنا إليه ننظر ماذا نأخذ منه ؟ وذهبت معهم إليه في مخزن كبير حافل بالشارين[٥] ، وحوله ولدان له شابان يتفجران صحة ورجولة وجمالا ، وكلمناه ..وحشدت له كل ما أقدر عليه من شواهد الدين ، وأدلة المنطق ، مثيرات الشعور ، فإذا كل ما قلته كنفخة وانية على صخرة راسية ، ما أحست بها ، فضلا عن أن ترتج منها . وقال : أنا لا أقصر

---

٣ ـ رواه الترمذي(□□□) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه وقال الترمذي : حديث حسن غريب من هذا الوجه .

٤ ـ رواه الطبراني في الكبير(□□□□) .

٥ . بالمشترين .

..أعرف واجبي ..وأدفع كل مرة الذي أقدر عليه .قلت : وهل أعطيت مثل الذي يعطي تجار اليهود ؟ قال : وهل تمثلني باليهود ؟ قلت : وهل أعطيت مرة مالك كله ؟ فشده ما قلت وفتح عينيه ، وظن أن الذي يخاطبه مجنون ، وقال : ما لي كله ؟ ولماذا أعطي مالي كله ؟ قلت : إن أبا بكر لما سئل التبرع للتسلح أعطى ماله كله ..قال : ذاك أبو بكر وهل أنا مثل أبي بكر ؟ قلت : عمر أعطى نصف ماله ، وعثمان جهز ألفاً ..فلم يدعني أكمل وقال : يا أخي أولئك صحابة رسول الله ، الله يرضى عنهم ، أين نحن منهم ؟ قلت : ألا ترى البلاد في خطر ؟ وإننا إذا لم نعط القليل ذهب القليل والكثير ؟ قال : يا أخي الله يرضى عليك اتركني بحالي ..أنا رجل بياع شراء ..لا أفهم في السياسة ، وليس لي بها صلة ، وهذا مالي حصلته بعرق جبيني ، وكد يميني ، ما سرقته سرقة ، فهل تريد أن أدفعه وأبقى أنا وأولادي وأحفادي بلا شيء ؟ قلت : ما نطلب مالك كله ، ولكن نطلب عشره ..قال : دفعت ما عليّ ..ما قصرت ..وأعرض عنا وأقبل على عمله ، يا سادة هذه حادثة أرويها لكم كما وقعت ....ومرت سبع سنوات ، وذهبت من سنتين ـ أي سلة□□□□ـ إلى المؤتمر الإسلامي في القدس ، ومررنا في الطريق بمخيم اللاجئين ، وأقبل الناس يسلمون علينا ، وإذا أنا بشيخ أبيض اللحية ، محني الظهر ، غائر الصدغين ، رث الثياب ، أحسست لما التقت العينان ، كأن قد برقت عيناه برقة خاطفة ،وكاد يفتح فمه بالتحية ، ثم تماسك وأغضى ..وارتبك كأنه يريد الفرار ..فلما انتهى السلام راغ مني ودخل في غمار الناس ..ولبثت أفكر فيه من هو ؟ وأين قابلته ؟ فما لبثت أن ذكرته ..وتكشف لي المنسي فجأة ، كأني كنت في غرفة مظلمة سطع فيها النور ..إنه هو ..هو يا سادة ..وكلمته فتجاهلني ، فلما ألححت عليه اعترف ، ولم أشمت به ، ومعاذ الله ، أن يراني أنحدر إلى هذا الدرك ، ولم أزعجه بلوم ، ولكن كان في نظرتي ما يوحي بالكلام ، لذلك استبقني فقال :

ـ لا تقل شيئا ، هذا هو المقدر ..] وليت أن الله وفقني ، ووفق]إخواني التجار النزول عن نصف ما كنا نملك ..قلت : أولم يبق لك شيء ..فابتسم ابتسامة حزينة يقطر من حواشيها الدمع ، وقال : بلى بقي الكثير بقيت الصحة والثقة بالله ،

وبقي هؤلاء وأشار إلى امرأة عجوز وطفل صغير . قلت : لا تيأس من رحمة الله ، قال : الحمد لله أن جعلنا عبرة ، ولكن أرجو أن يكون إخواننا في الشام ومصر والأردن قد اعتبروا بنا ..)

فهل يعتبر أهل المال والثراء ..فيتصدقوا وينفقوا ويجودوا بالعطاء للمجاهدين الذين بذلوا أرواحهم في سبيل الله يحاربون الكفار ..ويقاتلون الفجار ..فإن السعيد من وعظ بغيره والشقي من وعظ غيره به !!

خامساً: الدعاء

لقد نجى الله تعالى أقواماً بسبب دعاءهم ..فهذا نبي الله عليه الصلاة والسلام ..لما تقابل ﷺ مع كفار قريش في معركة بدر الكبرى ..قام ﷺ يدعو ربه ..ويناجيه ..ويتضرع بين يديه ..رافعاً يديه إلى السماء ..يدعو ويقول : اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض ..اللهم أنجز لي ما وعدتني ..حتى سقط رداءه من على كتفيه ..فأخذه أبوبكر الصديق ..وقال يا رسول الله بأبي أنت وأمي ..كفاك مناشدتك ربك فإن الله منجز لك ما وعدك ..فرسول الله ﷺ لم يقل أنا رسول الله ..وأنا في أرض الحرمين ..ولن يصيبني أذى ..والله ناصري ..بل فعل الأسباب ..وقام ليلة كاملة يدعو ربه ويلح عليه في أن ينصره على القوم الكافرين ..وهكذا ينبغي أن يكون عليه أهل الإيمان ..خاصة وقد أحاط بهم العدو من كل حدب وصوب ..وقد أتى إليهم بقضه وقضيضه ..وخيله ورجله .. لما بلغ السلطان ألب أرسلان ..أن ملك الروم ـ أرمانوس ـ خرج في مائتي ألف مقاتل ..قاصداً بلاد الإسلام ..خرج إليهم في خمسة عشر ألف فارس .. فلما تقارب العسكران.. أرسل السلطان إلى ملك الروم يطلب منه المهادنة ..فقال : لا هدنة إلا بالري ..فانزعج السلطان لذلك.. فقال له إمامه وفقيهه أبو نصر محمد بن عبد الملك البخاري ..وهنا يظهر أثر العلماء في تثبيت السلطان على الحق ..وتشجيعه وتأييده ..قال له : إنك تقاتل عن دين وعد الله بنصره ..وإظهاره على سائر الأديان ..وأرجو أن يكون الله تعالى قد كتب باسمك هذا الفتح .. **فالقهم يوم الجمعة بعد الزوال بالساعة التي تكون الخطباء على المنابر** .. فإنهم يدعون للمجاهدين بالنصر ..والدعاء مقرون بالإجابة ..فلما كان تلك الساعة صلى بهم ..وبكى السلطان فبكى الناس لبكائه ..ودعا ودعوا معه ..وقال لهم : من أراد الانصراف فلينصرف ..فما ههنا سلطان يأمر وينهى.. والقى القوس ..وأخذ السيف .. ولبس البياض وتحنط ..وقال: إن قتلت فهذا كفني .. وزحف إلى الروم ..وزحفوا ..فلما قاربهم

..ترجل وعفر وجهه على التراب ..وبكى وأكثر الدعاء ..ثم ركب وحمل وحملت إليه العساكر معه .. فقتل المسلمون فيهم ما شاؤوا ..وأنزل الله نصره عليهم ..فانهزم الروم ..وقتل منهم ملا يحصى حتى امتلأت الأرض بجثث القتلى وأسر ملك الروم ..أرأيتم كيف كان للدعاء أثره الفاعل في قلب الموازين ..مائتا ألف تقاتل خمسة عشر ..ومع التضرع والبكاء بين يدي الله تعالى وبذل الأسباب المشروعة .نصر الله عبده ..وأعز جنده ..وخذل الأعداء وحده .. فألحوا على الله بالدعاء ..خاصة في وقت الأسحار ..فإن الله تعالى ينزل في الثلث الأخير من الليل ويقول ..هل من داعي فاستجيب له ..هل من سائل فأعطيه ..وأمة الإسلام ..تعدادها ..أكثر من مليار مسلم ..ومن ظن أن الله لا يستجيب دعاء هذه الأمة ..فقد أساء الظن بربه ..وهو القائل : { ادعوني استجب لكم } فلماذا لا ترفع الأيدي بالدعاء ..ولماذا لا تسكب العبرات ..ليهلك الله دولة الكفر والإلحاد ..والتي قد طغت في البلاد فأكثرت فيه الفساد .. فهل من داع لهذه الأمة ؟ وهل من مناج لرفع الغمة ؟ وصدق القائل :

سهام الليل لا تخطي ولكن   لها أمد وللأمد أنقضاء

سادساً
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

لقوله تعالى :{ وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون } ولم يقل صالحون ..فهم يدعون الناس إلى الهدى ..وينهون عن الفساد والردى ..فحصل من نفعهم سلامة القرى ..من الهلاك والردى ..ويقول ﷺ: ﴿ إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أوشك الله أن يعمهم بعقاب من عنده ﴾ [صحيح الجامع]والقيام بهذه الشعيرة والإتيان بها سبب للسلامة من العقوبات يقول الله تعالى :{ فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون }[الأعراف] ففي هذه الآيات نبأ عظيم لمن أنار الله بصيرته ..فقد أخبر لله عن سنته الماضية ..وهي أن العقوبة إذا نزلت نجا منها الآمرون بالمعروف و الناهون عن المنكر .. ونحن بأمس الحاجة في وقت الأزمات من إحياء هذه الشعيرة ..لأننا نواجه عدوا من الخارج ..وكذا عدوا من الداخل ..لأن أهل الفساد ..يستغلون مصائب الأمة الكبار ..في تمرير مخططاتهم ..وتحقيق أفكارهم ..ولكن إذا تواصى الناس جميعاً على الإنكار ..وسعى كل واحد منهم بما يستطيع سلم المجتمع من أذاهم بإذن الله تعالى .

سابعًا
اجتناب الظلم

وهو التعدي على الناس في دمائهم أو أموالهم أو أعراضهم بغير حق ..يقول الله تعالى :{ وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعدا } [الكهف:] روى البخاري في صحيحه عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : ﴿ إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته ﴾ قال ثم قرأ : { وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد } [هود:] فلا يتجرأ العبد على ظلم العباد ..فإن عاقبة الظلم وخيمة .. فقد ورد أن خالد بن يحي البرمكي جاء ابنه إليه وهما في السجن مصفدين مغلولين مقهورين مأسورين، قال (يا أبت بعد الأمر والنهي ..والنعمة ..صرنا إلى هذه الحال !) صودرت أملاكنا ، قتل إخواننا ، شردت نسائنا ..فما الذي صيرنا إلى هذا الحال والمآل ؟ (قال يا بني ..دعوة مظلوم سرت بليل ..ونحن عنها غافلون ..ولم يغفل الله عنها . ثم أنشأ يقول :

ربّ قومٍ قدْ غدوْا في نعمةٍ زمناً والدهرُ ريانُ غدق
سكتَ الدهرُ زماناً عنهم ثم أبكاهمْ دماً حينَ نطقْ[1]

وقد تفاقمت صور الظلم في زماننا ..فمن ظلم للعمالة ..بعدم تسليم الرواتب لهم أو تحميلهم ما لا يستطيعون ..إلى ظلم الناس في الغيبة والنميمة والبهتان ..أو ظلمهم في أكل أموالهم من رشوة وغصب وغش ونحوها ..وما من ذنب أحرى أن يعجل لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخره يوم القيامة من البغي وقطيعة الرحم ..إلى ظلم الأولاد وعدم النصح لهم بإحضار أجهزة الفساد لهم ...وأخيراً ..ما يفعله بعض الأزواج مع زوجاتهم من ظلم لهن وبخس لحقهن ..كل هذه صور

(1) انظر البداية والنهاية (213/10) بتصرف

يجب أن تتلاشى من مجتمعنا ..وتزول من واقعنا ..حفاظاً على أمننا ..واستقرارنا ..وإلا سيكون مصيرنا مصير القوم الذين ظلموا ..نسأل الله تعالى السلامة والعافية .

ثامنًا
الالتفاف حول العلماء الربانيين ، والأئمة المهديين

فإن الالتفاف حولهم يعد سبيلا مهما من سبل الوقاية والنجاة من الفتن على مختلف أنواعها وأشكالها ، كما يعين على الأمن من الزيغ والضلال ، فكم أنجى الله بالعلماء ..الأمة الإسلامية ..من محن عصيبة ، وفتن رهيبة ، كإعزاز الله لدينه بالصديق رضي الله عنه ، يوم الردة ، وبأحمد بن حنبل يوم المحنة ، وكم ثبت الله المسلمين في تلك الفتن بعلمائهم ..فلابد إذا من لزومهم ، والعيش في أكنافهم ، والالتفاف حولهم لا سيما وقت الفتن .

ثم أوصي العلماء بأن يتقوا الله تعالى في أمتهم ..وأن يفعلوا مثل ما فعل أسلافهم الأوائل ..نصحاً وتوجيها ..وإعذارا وإنذارا ..وأقول للعلماء ..أين أنتم من مواقف شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ..الذي تحرصون على أخذ أقواله وآراءه ..أين أنتم من مواقفه في الأزمات ..لقد تناقلت الأخبار بتحرك التتر لدمشق ، وتحرك الجيش المصري لمقاتلتهم ، لكن ما لبث الناس أن سمعوا بخبر عودة الجيش المصري ، فطاشت عقولهم ، وتعالت الصيحات خوفا وفزعا ، وانطلق شيخ الإسلام لنائب الشام في المرج ، ونصحه بأن يركب البريد لتحريض السلطان للخروج إلى الشام ومقاتلة التتر ، وقابل السلطان في مصر ، وحرضه واقنعه لمقابلة التتر ، ورجع ابن تيمية يبشر الناس بقتال التتر . .وقد تكلم الناس في حكم قتال هؤلاء التتر من أي قبيل هو ، وتصدى ابن تيمية لتأصيل الجواب . وكان يقول : لو رأيتموني في صف التتر مواليا لهم وعلى رأسي مصحف فاقتلوني ، فتشجع الناس في قتال التتر وقويت قلوبهم.. وفي ليلة الجمعة التاسع والعشرين من شعبان ..ابتهل الناس إلى الله عز وجل بالدعاء في المساجد والبلد ، وطلع النساء والصغار على الأسطحة ، وكشفوا رءوسهم . وفي ثاني رمضان اصطف الجيشان ، وأفتى ابن تيمية بالفطر مدة القتال ، وأفطر هو أيضا ، ولما بدأت الحرب ثبت السلطان

ثباتا عظيما ، وأمر السلطان جواده فقيّد حتى لا يهرب ، وبايع الله تعالى في ذلك الموقف ، وجرت خطوب عظيمة ، وقتل جماعة من سادات الأمراء يومئذ ، ولكن نزل نصر الله على المسلمين واستظهروا على التتر ، وقتل منهم ما لا يعلمه إلا الله .

أيها العلماء : إن العالم إن لم تجده أمته في هذه المواقف فمتى ؟ إن العلماء اليوم عليهم حمل ثقيل حيال أمتهم ، وفي مثل هذه الظروف ، فقد خلت دمشق من الوالي والسلطان ومن كبار أهل العلم ، فكان ابن تيمية يدير دفة الدعوة ، ويتحرك في الناس ، وهذا هو دور المطلوب ..ثم انظر إلى ابن تيمية ..عندما حصل الاضطراب الفقهي في حكم قتال التتار ، وكيف وقف له شيخ الإسلام بقوة ، وجعل نفسه شعارا : (: لو رأيتموني في صف التتر مواليا لهم وعلى رأسي مصحف فاقتلوني) لا مجال لهذا الاضطراب ، وأنى له أن يكون اليوم ، وقد بان كل شيء ، وما ثمة انتساب للإسلام كما فعل التتار ، بل التبجح العريض ، والتصريح الفاضح بالأسباب هو الحاصل ، وفتاوى أهل العلم واضحة جلية ، في وجوب إدراك الأبعاد لما هو آت على الأمة ، والخطر الذي يحيق بها ، لكن هذه الفتاوى لا تجد تفاعلا وتفعيلا ، كما يجده الإفتاء أو الرأي في مسألة هي محل خلاف ..نسأل الله أن يصلح أوضاع المسلمين .

تاسعاً
الاهتمام بالعلم الشرعي

لابد من الاهتمام بالعلم الشرعي ..خاصة في وقت الفتن ، لأن كثيرين يخوضون بغير علم ..فيؤدي خوضهم الى أنواع من البلاء ..والتفرق والتصرفات الطائشة ..ومما يلاحظ :- انتشار القصص والروايات الواهية الضعيفة وقت الفتنه ، فيكثر القصّاص الذين يوردون الحكايات والقصص التي لا أصل لها . انظر الى قول ابن عمر - كما رواه ابن حبان - (لم يكن يُقصّ في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أبي بكر ولا عمر ولا عثمان إنما كان القصص زمن الفتنة).

إن التأصيل العلمي الشرعي لا بدّ منه ..لأن الوصول الى الحق والصواب لا يتم الا بالرجوع الى الكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة ..ولأنه يحمي من الاجتهادات التي تمليها الظروف والأهواء ، ويرجع الأمور الى أصولها الصحيحة .ومن خلال العلم يعرف المرء كيف يتصرف ..وماذا يفعل ؟ فهل من اهتمام بالعلم وطلبه وتأصيله على منهج شرعي .

عاشراً

الاستـــــعــــــداد

وقد كان النبي ﷺ دائماً يهيؤ أصحابه للأحداث القادمة ..ويسألهم ماذا سيصنع لو حدث كذا ..وماذا سيفعل لو جرى كذا ؟ يقول ﷺ :﴿ احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز ﴾ رواه مسلم ..ومن نماذج هدي الرسول لتهيأة أصحابه ..ما قاله الرسول ﷺ لعثمان بن عفان :كما عند ابن ماجه عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عثمان إن ولاك الله هذا الأمر يوما فأرادك المنافقون أن تخلع قميصك الذي قمصك الله فلا تخلعه يقول ذلك ثلاث مرات ..ومتى تولى عثمان الخلافة ..بعد وفاة النبي ﷺ ..ووفاة أبي بكر ..وعمر ..ثم في آخر خلافة عثمان ..جاءت المناسبة ..فالرسول ﷺ هيأ عثمان نفسياً للحدث الذي يصيبه..ولذا عندما تولى الخلافة أراد المنافقون خلعه ولكنه رفض بناء على توجيه النبي ﷺ له .

والنصوص في هذا كثيرة في حث النبي ﷺ لأصحابه للاستعداد والتهيؤ لأحداث المستقبل ، وهذا الذي يجب فعله في الأيام القادمة أن نستعد ..وأن نتهيأ لما سيحدث والله المستعان : والاستعداد على قسمين :

<u>القسم الأول: الإعداد النفسي من خلال :</u>

□ـ تهيئة الأسرة نفسياً من الآن تحسباً لأي طارئ يطرأ في المستقبل ..وتحديثهم بالغزو والجهاد يقول النبي ﷺ : ﴿ من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق ﴾ رواه أبو داود .

□ـ التوكل على الله تعالى ..لأن الله تعالى { ومن يتوكل على الله فهو حسبه } أي كافيه وناصره ..يقول النبي ﷺ : ﴿ لو أنكم توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً ـ أي جائعة ـ وتروح بطانا ـ أي شباعا ﴾ رواه أحمد .

- أن يتيقن العبد أن ما أصابه لم يكن ليخطئه ، وما أخطئه لم يكن ليصيبه ..وأن يستقين الإنسان بما قاله الرسول ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما : ﴿ واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام ، وجفت الصحف ﴾ رواه الترمذي وصححه .

- أن يعلم الإنسان أن نصر الله قريب ..وأن الله ينصر من نصره ..وأن هذا الدين منصور ..وما على الأمة إلا أن تطبق وتعمل بأسباب النصر والتمكين التي ذكرها الله في كتابه ..فإذا عملت وطبقت فإن النصر لا محالة قريب .

- أن يبشر الإنسان غيره ويتفائل ..خاصة في وقت الأزمات والملمات ..لأن النفوس بأمس الحاجة إلى التفائل الذي يدفعها إلى العمل ..وهكذا كان رسول الله ﷺ يفعل ..فعندما أراد الأحزاب قتال رسول الله ﷺبدأ عليه الصلاة والسلام بحفر الخندق ..وبينا أصحاب رسول الله يحفرون الخندق إذ واجهتم صخرة شقت عليهم ..وكلت أيديهم منها فكلموا رسول الله ﷺ في ذلك ..فأخذ رسول الله المعول من سلمان ..فضرب الصخرة ضربة صدعها ..وبرقت منها برقة أضاء ما بين لابتيها ـ يعني لابتي المدينة ـ..فكبر رسول الله تكبير فتح ..وكبر المسلمون ..فعل ذلك ثلاث مرات .. ثم أخذ بيد سلمان فرقى ..فقال سلمان بأبي أنت وأمي يا رسول الله ..لقد رأيت شيئا ما رأيته قط ..فالتفت رسول الله إلى القوم ..فقال : هل رأيتم ما يقول سلمان ؟ قالوا : نعم يا رسول الله بأبينا أنت وأمنا ..قد رأيناك تضرب فيخرج برق كالموج ..فرأيناك تكبر فنكبر ..ولا نرى شيئا غير ذلك ..قال : صدقتم ..ضربت ضربتي الأولى ..فبرق الذي رأيتم ..أضاءت لي منها قصور الحيرة ومدائن كسرى كأنها أنياب الكلاب ..فأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها .. ثم ضربت ضربتي الثانية ..فبرق الذي رأيتم أضاءت لي منها قصور الحمر من أرض الروم ..كأنها أنياب الكلاب ..فأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها ..ثم ضربت ضربتي الثالثة فبرق منها الذي رأيتم ..أضاءت لي منها قصور صنعاء ..كأنها أنياب الكلاب ..فأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها

..فأبشروا ..فاستبشر المسلمون ..فهكذا كان هدي رسول الله ﷺ في وقت الأزمات .

القسم الثاني : الإعداد البدني : ويتم ذلك من خلال :

□ ـ ممارسة المشي والجري وحمل الأمتعة الثقيلة والتقلل من الطعام والشراب ونحو ذلك ..لقول النبي ﷺ:﴿ المؤمن القوي خير وأحب إلي الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير ..﴾ رواه مسلم .

□ ـ أن يتعلم الرماية ..لقول النبي ﷺ :﴿ ارموا بني إسماعيل فإن أباكم كان راميا ﴾ رواه البخاري ..وقال ﷺ :﴿ من علم الرمي ثم تركه فليس منا أو فقد عصى ﴾ رواه مسلم .

□ـ أن يعود الإنسان نفسه ..وأهل بيته ..على ترك ما ألفه من حياة الترف والكماليات ، لقول عمر رضي الله عنه : اخشوشنوا فإن النعم لا تدوم .

وأخيرا ..إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ..فإذا غيرنا ما بأنفسنا ..من المعاصي والذنوب ..وانتقلنا إلى فعل الطاعات ..والمسابقات إلى الخيرات ..غير الله علينا ..ما كان فينا من الشقاء ..إلى الخير والهناء ..إنها دعوة صادقة ..من محب لأحبابه ..ومن صديق لأصدقائه ..ومن قريب لأقربائه ..ومن أخ في الله لإخوانه ..أناشدهم فيها إلى المسارعة إلى التغيير ..والمبادرة إلى تحسين الأوضاع ..قبل أن تسكب العبرات ..وترتفع الآهات ..وتحل الأحزان ..وتكثر الأشجان ..ويفرح الأعداء ..ويحزن الأصدقاء ..فتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون ..وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

وكتبه

د . محمد بن عبدالله الهبدان

□/□□/□□□□هـ